

لمحة عن حياة العباس بن علي بن أبي طالب (ع)



يوافق الرابع من شهر شعبان الذكرى العطرة لولادة قمر بني هاشم أبي الفضل العباس (ع)، فهذه المناسبة نسلط الضوء على نبذة عن حياة هذا العبد الصالح صلوات الله عليه وسيرته المباركة.

كان أوّل مولود زكيّ للسيدة أمّ البنين هو سيّدنا المعظّم أبو الفضل العباس عليه السلام، وقد ازدهرت يثرب، وأشرقت الدنيا بولادته وسرت موجات من الفرح والسرور بين أفراد الأسرة العلوية، فقد ولد قمرهم المشرق الذي أضاء سماء الدنيا بفضائله ومآثره، وأضاف إلى الهاشميين مجداً خالداً وذكرًا نديلاً عاطراً.

وحيثما بُشِّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المولود المبارك، سارع إلى الدار، فتناوله وأوسعه تقبيلًا، وأجرى عليه مراسم الولادة الشرعية فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، لقد كان أوّل صوت قد اخترق سمعه صوت أبيه رائد الإيمان والتقوى في الأرض، وأنشودة ذلك الصوت.

" ا أكبر... "

" لا إله إلا " "

وارتسمت هذه الكلمات العظيمة التي هي رسالة الأنبياء، وأنشودة المتّقين في أعماق أبي الفضل، وانطبعت في دوائر ذاته، حتى صارت من أبرز عناصره، فتبنى الدعوة إليها في مستقبل حياته، وتقطّعت أوصاله في سبيلها.

وفي اليوم السابع من ولادة أبي الفضل عليه السلام، قام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحلق شعره، والتصدّق بزنته ذهباً أو فضة على المساكين وعقّ عنه بكبش، كما فعل ذلك مع الحسن والحسين عليهما السلام عملاً بالسنة الإسلامية.

سنة ولادته:

أفاد بعض المحقّقين أن أبا الفضل العباس عليه السلام وُلد سنة 26 هـ في اليوم الرابع من شهر شعبان.

تسميته:

سمّى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وليده المبارك بالعباس، وقد استشفّ من وراء الغيب أنه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام، وسيكون عبوساً في وجه المنكر والباطل، ومنطلق البسمات في وجه الخير، وكان كما تنبأ فقد كان عبوساً في ميادين الحروب التي أثارها القوى المعادية لأهل البيت عليهم السلام، فقد دمّر كتابها وجندل أبطالها، وخيّم الموت على جميع قطعات الجيش في يوم كربلاء، ويقول الشاعر فيه:

عبست وجوه القوم خوف الموت والعبّاس فيهم ضاحك متبسّم

كنيته:

وكُنّي سيّدنا العباس عليه السلام بما يلي:

أبو الفضل:

كُنِّيَ بذلك لأنَّ له ولداً اسمه الفضل، ويقول في ذلك بعض من رثاه:

أبا الفضل يا من أسَّس الفضل والإبا أبا الفضل إلاَّ أن تكون له أبا

وطابقت هذه الكنية حقيقة ذاته العظيمة فلو لم يكن له ولد يُسمَّى بهذا الإسم، فهو - حقاً - أبو الفضل، ومصدره الفياض فقد أفاض في حياته ببرِّه وعطائه على القاصدين لنبله وجوده، وبعد شهادته كان مؤثلاً وملجأً لكل ملهوف، فما استجار به أحد بنيَّة صادقة إلاَّ كشف الله ما ألمَّ به من المحن والبلوى.

2. أبو القاسم:

كُنِّيَ بذلك لأنَّ له ولد اسمه القاسم وذكر بعض المؤرِّخين أنَّه استشهد معه يوم الطفِّ، وقدَّمه قرباناً لدين الله، وفداءً لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ألقابه:

أمَّا الألقاب التي تُضفى على الشخص فهي تحكي صفاته النفسية حسنة كانت أو سيئة، وقد أضيفت على أبي الفضل عليه السلام عدَّة ألقاب رفيعة تنمُّ عن نزعاته النفسية الطيبة، وما اتصف به من مكارم الأخلاق، وهي:

1. قمر بني هاشم:

كان العباس عليه السلام في روعة بهائه، وجميل صورته آية من آيات الجمال، ولذلك لقب بقمر بني هاشم، وكما كان قمرًا لأسرته العلوية الكريمة، فقد كان قمرًا في دنيا الإسلام، فقد أضاء طريق الشهادة، وأثار مقاصدها لجميع المسلمين.

السقاء:

وهو من أجلّ ألقابه، وأحبّها إليه، أما السبب في إمضاء هذا اللقب الكريم عليه فهو لقيامه بسقاية عطاشى أهل البيت عليهم السلام حينما فُرض الحصار على الماء؛ لتموت عطشاً ذرية النبي صلى الله عليه وآله... وقد قام بطل الإسلام أبو الفضل باقتحام الفرات عدّة مرّات، وسقى عطاشى أهل البيت، ومن كان معهم من الأنصار، وسنذكر تفصيل ذلك عند التعرّض لشهادته.

3. بطل العلقمي:

أمّا العلقمي فهو اسم للنهر الذي استشهد على ضفافه أبو الفضل العباس عليه السلام، وكان محاطاً بقوى مكثّفة من قبل ابن مرجانة لمنع ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنّة، ومن كان معه من نساء وأطفال من شرب الماء، وقد استطاع أبو الفضل بعزمه الجبار، وبطولته النادرة أن يجندل الأبطال، ويهزم أقزام ذلك الجيش المنحط، ويحتلّ ذلك النهر، وقد قام بذلك عدّة مرّات، وفي المرّة الأخيرة استشهد على ضفافه ومن ثمّ لُقّب ببطل العلقمي.

حامل اللواء:

ومن ألقابه المشهورة حامل اللواء، وهو أشرف لواء، إنّه لواء أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، وقد خصّه به دون أهل بيته وأصحابه، وذلك لما تتوفر فيه من القابليات العسكرية، ويعتبر منح اللواء في ذلك العصر من أهمّ المناصب الحسّاسة في الجيش. وقد كان اللواء الذي تفلّده أبو الفضل يرفرف على رأس الإمام الحسين عليه السلام منذ أن خرج من يثرب حتّى انتهى إلى كربلاء، وقد قبضه بيد من حديد، فلم يسقط منه حتى قطعت يداه، وهوى صريعاً بجنب العلقمي.

كبش الكتيبة:

وهو من الألقاب الكريمة التي تُمنح إلى القائد الأعلى في الجيش، الذي يقوم بحماية كتائب جيشه بحسن تدبير، وقوّة بأس، وقد أضيف هذا الوسام الرفيع على سيّدنا أبي الفضل، وذلك لما أبداه يوم الطفّ من الشجاعة والبسالة في الذبّ والدفاع عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان قوّة ضاربة في معسكر أخيه، وصاعقة مرعبة ومدمّرة لجيوش الباطل.

العميد:

وهو من الألقاب الجليلة في الجيش التي تُمنح لأبرز الأعضاء في القيادة العسكرية، وقد قُلِّد أبو الفضل عليه السلام بهذا الوسام لأنّه كان عميد جيش أخيه أبي عبد الله، وقائد قوّاته المسلّحة في يوم الطفّ.

حامي الطعينة:

ومن الألقاب المشهورة لأبي الفضل عليه السلام -حامي الطعينة-، وإنما أضفي عليه هذا اللقب الكريم لقيامه بدور مشرف في رعاية مخدرات النبوة وعقائل الوحي، فقد بذل قصارى جهوده في حمايتهم وحراستهم وخدمتهم، فكان هو الذي يقوم بترحيلهم، وإنزالهم من المحامل طيلة انتقالهم من يثرب إلى كربلاء.

باب الحوائج:

وهذا من أكثر ألقابه شيوعاً، وانتشاراً بين الناس، فقد آمنوا وأيقنوا أنه ما قصده ذو حاجة بنية خالصة إلاّ قضى حاجته، وما قصده مكروب إلاّ كشف ما ألمّ به من محن الأيام، وكوارث الزمان، وكان ولدي محمد الحسين ممن التجأ إليه حينما دهمته كارثة ففرّج عنه.

إنّ أبا الفضل نفحة من رحمة الله، وباب من أبوابه، ووسيلة من وسائله، وله عنده الجاه العظيم، وذلك لجهاده المقدس في نصرته الإسلام، والذبّ عن أهدافه ومبادئه، وقيامه بنصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استشهد في سبيله هذه بعض ألقاب أبي الفضل، وهي تحكي بعض معالم شخصيته العظيمة وما انطوت عليه من محاسن الصفات ومكارم الأخلاق.

ملاحه:

أمّا ملامحه فقد كان صورة بارعة من صور الجمال، وقد لُقِّبَ بقمر بني هاشم لروعة بهائه، وجمال
طلعته، وكان متكامل الجسم قد بدت عليه آثار البطولة والشجاعة، ووصفه الرواة بأنه كان وسيماً
جميلاً، يركب الفرس المطهم- التام الحسن- ورجلاه يخطان في الأرض.

نشأته:

نشأ أبو الفضل العباس عليه السلام نشأةً سالحة كريمة، فلما يظفر بها إنسان، فقد نشأ في طلال أبيه
رائد العدالة الاجتماعية في الأرض، فغذاه بعلومه وتقواه، وأشاع في نفسه النزعات الشريفة، والعادات
الطيبة ليكون مثلاً عنه، وأنموذجاً لمثله، كما غرست أمّه السيّدة فاطمة في نفسه، جميع صفات
الفضيلة والكمال، وغذته بحبّ الخالق العظيم فجعلته في أيّام طفولته يتطلّع إلى مرضاته وطاعته،
وظلّ ذلك ملازماً له طوال حياته.

ولازم أبو الفضل أخويه السيطيين ریحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيّدَي شباب أهل
الجنّة فكان يتلقّى منهما قواعد الفضيلة، وأسس الآداب الرفيعة، وقد لازم بصورة خاصة أخاه أبا
الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فكان لا يفارقه في حله وترحاله، وقد تأثر بسلوكه، وانطبعت في
قرارة نفسه مئذله الكريمة وسجاياه الحميدة حتى صار صورة صادقة عنه يحكيه في مثله واتجاهاته، وقد
أخلص له الإمام الحسين كأعظم ما يكون الإخلاص وقدّمه على جميع أهل بيته لما رأى منه من الودّ الصادق
له حتى فداه بنفسه.

إنّ المكونات التربوية السالحة التي طفر بها سيّدنا أبو الفضل العباس عليه السلام قد رفعتة إلى
مستوى العظماء والمصلحين الذين غيروا مجرى تاريخ البشرية بما قدّموه لها من التضحيات الهائلة في
سبيل قضايها المصيرية، وإنقاذها من ظلمات الذلّ والعبودية.

لقد نشأ أبو الفضل على التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الحقّ، ورفع رسالة الإسلام الهادفة إلى تحرير إرادة الإنسان، وبناء مجتمع أفضل تسوده العدالة والمحبة، والإيثار، وقد تأثر العباس بهذه المبادئ العظيمة، وناضل في سبيلها كأشدّ ما يكون النضال، فقد غرسها في أعماق نفسه، ودخائل ذاته، أبوه الإمام أمير المؤمنين وأخواه الحسن والحسين عليهم السلام، هؤلاء العظام الذين حملوا مشعل الحرية والكرامة، وفتحوا الآفاق المشرقة لجميع شعوب العالم وأُمم الأرض من أجل كرامتهم وحرّيتهم، ومن أجل أن تسود العدالة والقيم الكريمة بين الناس.

الشيخ باقر شريف القرشي